الخليل بن أحمد رائد علم الأصوات

د.أحمد محمد سالم الزوي

مقدمة

تطورت الدراسات العربية في القرن الثاني الهجري تطورا واسعا عندما تناولت تلك الدراسات الموضوعات الصوتية بالوصف والتحليل، وذلك بدافع خدمة لغة القرآن الكريم، والشعور بأن تعلم اللغة وإتقانها لا يتم بدون دراسة أصواتها دراسة جيدة، لإتقان أدائها بصورة صحيحة، وحمايتها من اللحن والتحريف، بعد اختلاط العرب بشعوب أخرى من الناطقين بغير العربية.

فنبغ علماء اللغة في هذا المجال، ووضعوا دراسات صوتية رائدة، على الرغم من إمكاناتهم البسيطة، حيث اعتمدوا على الملاحظة الذاتية وحسهم المرهف في وصف الصوت العربي، وتوصلوا إلى نتائج علمية جليلة القدر بالنسبة إلى عصورهم. حازت احترام علماء الأصوات في الوقت الحاضر.

ومن هذه الدراسات الصوتية دراسة الخليل بن أحمد الفراهيدي للأصوات العربية الذي أدرك أهمية النظام الصوتي و" كان على وعي تام بأن دراسة الأصوات مقدمة لابد منها لدراسة اللغة " (1) فألف مقدمة (العين) التي تعد أول مادة في علم الأصوات دلت على أصالة علم الخليل، وأنه صاحب هذا العلم ورائده الأول. وسوف أدرس هذا الموضوع وفق الآتي:

1- التفريق بين مصطلح الصوت والحرف.
2- مخارج الحروف العربية.
3- صفات الحروف العربية.

أولا: الفرق بين الصوت والحرف

كان الخليل بن أحمد – وإن لم يستعمل مصطلح الصوت – يفرق بين صوت الحرف واسمه، وهذا يتضح من سؤاله لأصحابه حين قال لهم:" كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في لك، والكاف التي في مالك، والباء التي في ضرب؟ فقيل له: نقول: باء كاف. فقال: إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف"(2). وواضح هنا أن الخليل كان يريد الصوت، ولم يستعمل مصطلح الصوت، والعبرة بالمعاني لا بالمباني، يؤكد هذا ما قاله محققا كتاب العين في المقدمة، من أن " كلمة (حرف) تعني في مصطلح الخليل ما نعنيه باستعمالنا كلمة صوت في عصرنا الحاضر ولنسمعه يقول: فإذا سئلت عن كلمة، وأردت أن تعرف موضعها، فانظر إلى حروف الكلمة فمهما وجدت منها واحدا في الكتاب المقدم فهو في ذلك الكتاب. وإن قوله (حروف الكلمة) يعني أصواتها، وهو يشير إلى أنه ضمن مقدمته التي دعاها (الكتاب المقدم) هذه المواد الصوتية اللغوية "(3).

copy from www.aladab.edu.ly

وبهذا نقول: إن الخليل استعمل مصطلح الحرف، وأراد به الصوت، ثم جاء تلميذه النابه سيبويه من بعده، وتنبه أيضا إلى أهمية الصوت اللغوي متأثرا بأستاذه الخليل بن أحمد، وعرف أن اللغة:" لا يمكن أن يفهم نحوها، و صرفها فهما صحيحا إلا بعد دراسة أصواتها "(4)؛ لأن ظواهر النحو والصرف تعتمد على دراسة الأصوات. ولكن سيبويه هو الآخر مثل أستاذه استعمل مصطلح الحرف، وأراد به الصوت(5).

ويبدو أن استعمال مصطلح الصوت استقر عند ابن جنى الذي قال:" اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده، واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا، ويختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها"(6) وهو يعني بالصوت: صوت ذبذبة الأوتار الصوتية(7).

أما المحدثون من علماء الأصوات، فإنهم اهتموا بقضية الصوت والحرف وفرقوا بينهما، واستعملوا كل مصطلح في مكانه، يقول الدكتور تمام حسان:" الفرق بين الصوت وبين الحرف هو فرق ما بين العمل والنظر، أو بين المثال والباب، أو بين أحد المفردات والقسم الذي يقع فيه، فالصوت: عمليه نطقية تدخل في تجارب الحواس، وعلى الأخص، حاستي السمع والبصر، يؤديه الجهاز النطقي حركة وتسمعه الأذن، وترى العين بعض حركات الجهاز النطقي حين أدائه، أما الحرف: فهو عنوان مجموعة من الأصوات يجمعها نسب معين، فهو فكرة عقلية، لا عمليه عضلية، وإذا كان الصوت مما يوجده المتكلم، فإن الحرف مما يوجده الباحث"(8).

ولقد أدرك الخليل وهو يضع أول معجم عربي حاجته إلى ترتيب معين يرتب على أساسه هذا المعجم الذي يكون عليه مدار كلام العرب وألفاظهم فلا يخرج منها عنه شيء، ولم يجد أمامه غير نظامين للأصوات: أحدهما النظام الأبجدي (أبجد هوز)المعروف عند السريان واتبعته اللغات السامية. والآخر: النظام الألف بائي الذي وضعه نصر بن عاصم (ت98هـ)الذي رتب الحروف وهو يحاول إعجامها ترتيبا راعى فيه الأشكال والصور، وأصبح ترتيب الحروف: أ، ب ت،ث،ج،ح،خ،د،ذ ....إلخ(9).

ولم يأخذ الخليل بأحد هذين النظامين فقد كره أن يبدأ بحرف إلا بعد حجة واستقصاء النظر " فأعمل فكره فيه فلم يمكنه أن يبتدئ التأليف من أول أ،ب،ت،ث وهو الألف؛ لأن الألف حرف معتل "(10)، ولم يأخذ بالترتيب الأبجدي الذي يبدأ بالهمزة في قولهم: (أبجد هوز)،لأن الهمزة "مهتوتة مضغوطة فإذا رفه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف"(11).

ثانيا: مخارج الحروف العربية

رأى الخليل أن ترتيب الحروف الصوتي وفق مخارجها وعلى مالها من ارتكاز في جهاز النطق هو الترتيب العلمي الأسلم الذي اهتدى إليه بعد أن" دبر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها فوجد الكلام كله من الحلق فصير أولاها بالابتداء أدخل حروفها

copy from www.alandalus.edu.ly

في الحلق:"(12). وهو على حق في ذلك لأن مادة الصوت هو الهواء الخارج من داخل الإنسان، وبذلك فإن أقصى الحلق تكون أول نقطة ينتج فيها صوت لغوي يؤكد هذا ما قاله على القاري من أن:" لكل مقدار له نهايتان أيتها فرضت أوله كان مقابلها آخره، ولما كان وضع الإنسان على الانتصاب كان رأسه أوله ورجلاه آخره ومن ثم كان أول المخارج الشفتين: وأولهما مما يلي البشرة وآخرهما مما يلي الأسنان، وثانيهما اللسان: وأوله مما يلي الأسنان، وآخره مما يلي الحلق، وهو ثالثها: وأوله مما يلي اللسان، وآخره مما يلي الصدر، ولو كان وضعه على التنكيس لانعكس، ولما كان مادة الصوت الهواء الخارج من داخل. كان أوله آخر الحلق، وآخره أول الشفتين "(13).

1- المخرج

يعد الخليل بن أحمد أول من استخدم لفظ حيز ومدرج ومخرج حيث قال:" في العربية تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف، وهي الواو والياء والألف اللينة، والهمزة، وسميت جوفا؛ لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة. إنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف"(14). واستخدم كلمة مخرج أقل من ذنيك الأولين، حيث يقول:" وأما مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم، وأما مخرج العين والحاء والهاء والخاء والغين فالحلق"(15).

ويبدو أنه كان يقصد من مصطلح (حيز) المساحة التي يشغلها عدد من الحروف بدليل قوله:" الطاء والدال والتاء في حيز واحد"(16)، أما (مدرج الحرف) فقد ورد عنده بمعنى الموضع الذي يبدأ منه الحرف، وهو طريق الهواء من بدء الاعتراض؛ لذلك قال:- وهو يتكلم عن حروف الجوف (المد)-:" لا تقع في مدرجه من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة؛ إنما هي هاوية في الهواء"(17). أما مصطلح (مخرج) فكان يريد به الموضع الذي يحصل فيه الاعتراض(أي اعتراض الهواء الخارج من الرئتين) بدليل قوله:" وثلاثة شفوية(ف ب م)مخرجها من بين الشفتين"(18).

وقد تابعه تلميذه سيبويه في هذه المصطلحات، ولكنه اعتمد على كلمة (مخرج) وجاء بمصطلح آخر مرادف للأول وهو (الموضع)(19). ولقد عرّف ابن يعيش المخرج بأنه:" المقطع الذي ينتهي الصوت عنده"(20).

أما المحدثون من علماء الأصوات فقد عرفوا المخرج عدة تعريفات تطابق تعريفات علمائنا الأوائل، فعرفه برجستراسر بقوله:" المَخْرج أو المُخْرج هو الموضع من الفم ونواحيه الذي يَخرج أو يُخرج منه الحرف"(21). ويقول ماريو باي:" إن التمييز بين أصوات اللغة سواء منها الأنفي أو الفموي يعتمد على استمرار الصوت، ودرجة إسماعه، وقوة إنتاجه، وفوق كل هذا على المخرج وكلمة المخرج تشير إلى النقطة المحدودة في الجهاز النطقي التي يتم عندها تعديل وضعه"(22).

copy from www.arabprinted.edu.ly

وعلى هذا يكون المخرج: هو الموضع الذي يلتقي عنده عضوان من أعضاء النطق ليمر هواء الزفير بينهما، ويحدث الصوت.

وهذا الاستخدام لمصطلح (مخرج) لم يجد المحدثون له بديلا، فنرى الدكتور محمود السعران يقول:" إن ما يسميه العرب(مخرج الحرف) سماه المحدثون في الغرب(موضع النطق)"(23).

أما طريقة معرفة مخرج الحرف فقد أوضحها الخليل بن أحمد حيث كان "يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو:اب، ات، اث، اح"(24). فهو يتذوق الحرف في وضع سكونه لا في وضع حركته؛ لأن الحركة تغير موضع الحرف. ولقد أوضح ابن جني هذه الطريقة بقوله:" وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكنا لا متحركا؛ لأن الحركة تقلق الحرف عن موضعه، ومستقره وتجذبه إلى جهة الحرف التي هي بعضه، ثم تدخل عليه همزه الوصل مكسورة من قبله؛ لأن الساكن لا يمكن الابتداء به، فتقول: اك، اق، اح، وكذلك سائر الحروف"(25).

وبهذا يكون الخليل بن أحمد هو السباق سواء أ كان في تسمية موضع النطق بـ(المخرج) أم في تذوقه للحروف.

2- بيان مخارج الحروف العربية.

عرف الخليل أعضاء جهاز النطق، وحصرها بين الحلق والشفتين، وحدد عليها مواضع الحروف، بعد أن حصر عددها بتسعه وعشرين حرفا وميز بين الصامت (وأسماها صحاحا)، والصوائت منها (وأسماها جوفا) فقال:" في العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجه من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف"(26).

يبدأ الخليل من الحلق(27) يحدد مخارج الحروف" فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء ولولا هتة في الهاء، وقال مرة(ههة) لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض، ثم الخاء والغين في حيز واحد كلهم حلقية"(28) وقال في مكان آخر" العين والحاء والهاء والخاء والغين حلقية؛ لأن مبدأها من الحلق"(29).

وبهذا تكون حروف الحلق عند الخليل مرتبة هكذا :ع، ح، هـ، خ، غ.

وقسم سيبويه الحلق إلى ثلاثة أقسام: أقصاه، ووسطه، وأدناه إلى الفم، فقال:" فللحلق منها ثلاثة: فأقصاها مخرجا الهمزة والهاء والألف، ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء، ووأدناها مخرجا من الفم الغين والخاء"(30). فتكون حروف الحلق عنده سبعة مرتبة هكذا(ء، ا، ه، ع، ح، غ، خ).

copy from www.alqalam.edu.ly

أما (الهمزة) فإن سيبويه استفاد من أستاذه الخليل بن أحمد إذ يقول:" وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق"(31).
وقال أيضا فيما ذكره السيوطي عن ابن كيسان:" سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف؛ لأنها لا تكون في ابتداء كلمة، ولا في اسم، ولا فعل إلا زائدة، أو مبدلة، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها، فنزلت إلى الحيز الثاني، وفيه العين والحاء فوجدت العين أنصع الحرفين، فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف"(32).
وهذا دليل واضح وقوي لاعتذار الخليل من البدء بالهمزة.
أما المحدثون من علماء الأصوات الذين أيدتهم المعامل الصوتية الحديثة فقد اتفقوا مع الخليل وسيبويه في تحديد مخرج الهمزة، حيث جعله بعضهم من أقصى الحلق، وعند بعضهم من الحنجرة(33).
وبذلك يكون الخليل السابق في تحديد مخرج الهمزة حين قال:" وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق"، وبهديه اهتدى سيبويه وغيره.
أما (الألف) فإن الخليل جعل لها مخرجا مستقلا سماه الجوف، حين قال:" في العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف، وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجه من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف" وكان يقول كثيرا: الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء"(34).
ومن هنا يتبين أن الخليل لم ينسب الألف اللينة إلى أي مخرج من مخارج النطق وبذلك يكون قد أثبت أهم خاصية من خواص هذا الحرف، وهي حرية مرور الهواء حال النطق به، وعمل الخليل هنا أدق من عمل سيبويه الذي جعل الألف من مخرج الهمزة؛ لأنه يتفق مع ما توصلت إليه الدراسات الحديثة من أن مجرى الألف هو الفم كله. وهو ليس من حروف الحلق، وحاول الدكتور إبراهيم أنيس أن يعتذر عن سيبويه لذكره الألف ضمن حروف الحلق فقال:" ربما أراد بكلمة (الألف) تفسير المقصود من كلمة(الهمزة) التي – فيما يبدو- كانت مصطلحا صوتيا غير مألوف في أيامه، أو حديث العهد بين الدارسين، فأراد توضيحه بذكر مرادف له أكثر شهرة وألفة وهو كلمة الألف"(35). غير أني لا أتفق معه فيما ذهب إليه لوجود دلائل تنافي هذا الكلام منها: أن سيبويه أراد (الألف) حين ذكره فهو ليس إيضاحا للهمزة والدليل على ذلك أنه لو جعل الألف إيضاحا للهمزة لكان أصل حروف العربية عند سيبويه ثمانية وعشرين. وكذلك يناقضه وجود حرف العطف (الواو) بين الهمزة والألف في الترتيب الذي ساقه سيبويه، والمعروف أن العطف يقتضي المغايرة. وكذلك قول سيبويه نفسه في مكان آخر من الكتاب:" إن الهمزة أقصى الحروف وأشدها سفولا وكذلك الهاء؛ لأنه ليس في الستة الأحرف أقرب إلى الهمزة منها وإنما الألف بينهما"(36).

copy from www.jilada.tarhu.edu.ly

أما (الهاء) فهي عند المحدثين من حروف أقصى الحلق، وعند بعضهم من الحنجرة(37).

أما (العين والحاء) فهما عند المحدثين من حروف وسط الحلق، وعند آخرين من الحلق(38).

أما (الغين والخاء) فهما عند بعض المحدثين من حروف أدنى الحلق إلى الفم ومنهم من يقول إنهما مع الكاف من الحروف النطعية(39).

وبعد حروف الحلق عند الخليل بن أحمد: (القاف والكاف) وهما حرفان لهويان والكاف أرفع(40). أي أنها أقرب إلى الفم، وقال مرة:" والقاف والكاف لهويتان؛ لأن مبدأها من اللهاة"(41). وحدد سيبويه مخرج هذين الحرفين:" من أقصى اللسان، وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف، ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف(42).

وإذا عرفنا أن الحنك الأعلى الذي ذكره سيبويه هو ما يعرف الآن بـ(الحنك اللين) وبه عضلة مدلاة من نهايته تعرف باللهاة، وهذا الجزء اللين من الحنك، أو الرخو يعرف بالطبق، وهو الجزء اللحمي المتحرك والمنتهي باللهاة(43). نستطيع أن نقول: إن سيبويه قد تابع الخليل، واستفاد منه في تقريره ومعرفته لهذا المخرج.

أما المحدثون الذين أيدتهم التجارب الصوتية الحديثة، فقد اتفقوا مع الخليل وسيبويه من أن القاف حرف لهوي(44)، واتفقوا مع سيبويه في وصفه الدقيق لصوت الكاف- الذي أخذ الفكرة من الخليل وجزأ المخرج- فقالوا عن صوت الكاف إنه من حروف أقصى الحنك(45)، وعبر عنه بعضهم بأنه صوت طبقي(46)، ولا خلاف بينهما إذا ما عرفنا أن الأصوات التي تنطق بمساعدة الحنك اللين تعرف بالأصوات الطبقية.

وبعد(القاف والكاف) عند الخليل(الجيم والشين والضاد) التي قال عنها:" الجيم والشين والضاد شجرية؛ لأن مبدأها من شجر الفم أي مفرج الفم"(47).

أما سيبويه فقد جعل مخرج الجيم والشين والياء من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، أما الضاد فمخرجها من بين أول حافة اللسان، وما يليها من الأضراس(48).

وبهذا يكون الخليل قد وضع الجيم والشين والضاد في حيز واحد، لكن سيبويه وضع مع الجيم والشين (الياء)، وجعل مخرج الضاد تالية لهذا المخرج، وتعبير هؤلاء بـ(شجر الفم)، و(وسط الحنك) يرادف تعبير المحدثين بـ(الحنك الصلب أو الغار). وبهذا يكون سيبويه قد تابع أستاذه الخليل في مخرج الجيم والشين مع اختلاف تعبيرهم، وزاد سيبويه(الياء) وجعلها معهما في حيز واحد، علما بأن الخليل لم يذكرها في أي مخرج حيث يقول: (الألف اللينة والواو والياء هوائية؛ أي أنها في الهواء). أما (الضاد) فقد جعلها سيبويه بعد هذا المخرج أي أنها تالية لمخرج الجيم والشين، وهذا أدق.

copy from www.arabdab.Zawia.edu.ly

أما المحدثون فإنهم جعلوا مخرج الجيم والشين والياء(غير المدِّية) من الحنك الصلب أو الغار(49). ووصفوا صوت الضاد بأنه أسناني لثوي(50). وهذا الوصف الحديث للضاد يختلف عن وصف القدامى له –ومنهم سيبويه- وهذا لا يعني أن القدماء قد أخطأوا حين وصفوا الحرف؛ لأن الأصوات بطبيعتها تتأثر بمرور الزمن ويمكن أن تتأخر أو تتقدم عن مخرجها، فسيبويه تكلم عن(ضاد) غير تلك الضاد التي نعرفها اليوم، فقال:" ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا، والظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام؛ لأنه ليس شيء من موضعها غيرها"(51). فهذه الضاد لا يقابلها شيء من الأصوات، وهذا أيضا دليل على أن وصف سيبويه كان وصفا سليما يوافق نطق العرب آنذاك، رائده في ذلك ما توصل إليه المبتكر الأول الخليل بن أحمد الذي فتح الطريق أمام سيبويه وغيره في علم الأصوات.

ويلي الحروف الشجرية عند الخليل مخرج(الصاد والسين والزاي) ويسميها:" أسلية؛ لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهي مستدق طرف اللسان"(52). ووضعها في حيز واحد. وحصرها سيبويه بين طرف اللسان، وفويق الثنايا، حيث يقول:" ومما بين طرف اللسان، وفويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد"(53). وبذلك يكون قد تابع الخليل، ولكنه عكس ترتيبها. وكذلك خالفه في أنه قدم عليها(الطاء والدال والتاء)، ويوافق المحدثون الخليل في أن حيز(الصاد والسين والزاي) قبل حيز(الطاء والدال والتاء) إذ يقول الدكتور كمال بشر:" فنطقنا للسين والزاي والصاد يجعلها قبل –لا بعد- التاء والدال والطاء من جهة الخلف"(54).

وإذا عدنا إلى الخليل نجده يذكر أن مبدأها(أسلة اللسان) وهو" الجزء المدبب من اللسان، أو مستدقه، ويعرف بالذلق، أو رأس اللسان، أو حده، أو طرفه"(55) وهذا جيد سليم، وهو ما جاء به سيبويه أيضا(طرف اللسان)، لكن سيبويه زاد الأمر دقة بقوله (فويق الثنايا).

أما علماء الأصوات من المحدثين فقد ضموا هذه الثلاثة (السين والزاي والصاد) إلى (الطاء والدال والتاء والضاد) وجعلوا لها جميعا مخرجا واحدا، وتوصف بأنها(أسنانية لثوية)، ومنهم من يوافق القدماء على تسميتها بـ(الأسلية)(56).

وبعد الحروف الأسلية عند الخليل تأتي الحروف النطعية التي قال عنها:" الطاء والدال والتاء في حيز واحد وهي نطعية؛ لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى"(57). والنطع:" ما ظهر من غار الفم الأعلى، وهي الجلدة الملتزمة بعظم الخليقاء فيها آثار كالتحزيز، وهناك موقع اللسان في الحنك"(58) وبهذا فإن مصطلح النطع يقابل عند المحدثين مصطلح الحنك الصلب أو الغار.

ووافق سيبويه الخليل في ترتيب هذه الحروف، لكنه خالفه في مخرجها فقال:" ومما بين طرف اللسان، وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء"(59). وهذا تحديد دقيق لمخرج هذه الحروف، أصبح فيه سيبويه العمدة لمن جاء بعده.

أما علماء الأصوات المحدثون فقد كانت عباراتهم عن هذا المخرج قريبة من قول سيبويه ، وأسموها(أسنانية لثوية)(60).

copy right www.aljabal.edu.ly

ويلي الحروف النطعية عند الخليل الحروف اللثوية حيث يقول:" الظاء والذال والثاء لثوية؛ لأن مبدأها من اللثة"(61). واللِّثَة واللَّثَة من اللثاة لحم على أصول الأسنان"(62). وتابع ابن يعيش الخليل بقوله:" الظاء والذال والثاء من حيز واحد وهو ما بين طرف اللسان، وأصول الثنايا، بعضها أرفع من بعض، وهي لثوية؛ لأن مبدأها من اللثة"(63). فقوله (أصول الثنايا) ليس صوابا؛ لأن أصل النص عند الزمخشري (أطراف الثنايا)(64). وكذلك عند سيبويه الذي يقول:" مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا"(65)، ورتبها كما رتبها الخليل(الظاء فالذال فالثاء)، وخص المبرد الثنايا بالعليا(66)، وهو تحديد دقيق، حيث إن الهواء يندفع من على سطح اللسان، فيحتك عند خروجه بالأسنان العليا، أما الأسنان السفلى فإن طرف اللسان يكون حاجزا بينها وبين الهواء فلا يحتك بها. ولعل الذي دعا الخليل إلى تسميتها باللثوية أن الهواء عندما يضيق مجراه يتزاحم فيصطدم جزء منه باللثة، وهكذا تكون اللثة حيزها، وليست مخرجها.

أما علماء الأصوات المحدثون فقد نسبوا هذه الأصوات إلى الأسنان، ويسمى الصوت حينئذ (أسنانيا)(67).

ويلي هذه الحروف عند الخليل(الراء واللام والنون) حيث يقول:" الراء واللام والنون ذلقية؛ لأن مبدأها من ذلق اللسان، وهو تحديد طرفي ذلق اللسان"(68). وجعلها في حيز واحد، وجاء على لسان الخليل أيضا قوله:" الراء واللام والنون ذولقية وهي الذلق الواحد أذلق، وذولق اللسان كذولق السنان"(69).

قال ابن منظور:" الذلق حِدّة الشيء، وحَدُّ كل شيء ذلقه، وذلق كل شيء حَدّه والحروف الذلق حروف طرف اللسان"(70).

أما سيبويه فإنه لم يجعل هذه الثلاثة من مخرج واحد بل خص كل حرف منها بمخرج، فاللام عنده تخرج من" حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية"(71). ومخرج النون" من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فويق الثنايا، ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء"(72).

أما علماء الدرس الصوتي الحديث فإنهم جعلوا مخرجا واحدا للام والنون والراء وهو(اللثة مع طرف اللسان)(73).

وبهذا نستطيع أن نقول إن الخليل وسيبويه كانا إلى الصواب أقرب في تحديد هذه المخارج، وما جاء به المحدثون من علماء الأصوات لم يخرج عما جاء به هؤلاء إلا من حيث المصطلحات، وهذا الخلاف شكلي وليس جوهريا.

ويلي الحروف الذلقية عند الخليل (الفاء والباء والميم) حيث يقول:" الفاء والباء والميم شفوية، وقال مرة شفهية؛ لأن مبدأها من الشفة"(74). ووافق سيبويه الخليل

copy from www.aladab.uotripoli.edu.ly

مع تفصيل دقيق، فقد جعل (الفاء) "من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العُلى ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو"(75).

وهذه الواو التي زادها سيبويه مع هذه الحروف في هذا المخرج، لم يجهل الخليل مخرجها، بل كان دقيق العبارة حين عرض(للفاء والباء والميم) فقال:" وثلاثة شفوية:(ف ب م) مخرجها من بين الشفتين خاصة لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف الصحاح إلا في هذه الأحرف الثلاثة فقط"(76)، مما يشعر أن الخليل كان يلاحظ أن الواو من الحروف الشفهية، إلا أنها من حروف العلة، والذي يؤكد هذا، قول الخليل عندما تكلم عن هذه الواو فقال:" ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين"(77). وسيبويه نفسه يقول عن حروف المد الثلاثة (الواو والياء والألف) بأنها:" غير مهموسات، وهي حروف لين ومد، ومخارجها متسعة لهواء الصوت وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها، ولا أمد للصوت، فإذا وقفت عندها، لم تضمها بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيرها"(78). ونص ابن الجزري على أن هذه الواو المذكورة في هذا المخرج، هي الواو غير المدية(79). التي يسميها المحدثون نصف حركة.

أما علماء الأصوات المحدثون فإنهم تابعوا الخليل في موضع مخرج الفاء وأخذوا بتحديد سيبويه، فهي عندهم حرف (شفهي أسناني)(80). وكذلك فعلوا في مخرج (الباء والميم والواو) حيث وصفوها جميعا بـ(الشفوية)، غير أنهم لا حظوا في نطق الواو أن اللسان يقترب من أقصى الحنك، فقالوا إن الوصف الأدق للواو أن يقال من أقصى الحنك أو أنه شفوي حنكي قصي(81).

ويبدو أن الذي دعا القدماء إلى نسبة مخرج الواو إلى الشفتين، هو وضوح استدارة الشفتين، وكون اللسان لا يقترب من الحنك بصورة واضحة.

ثم تأتي عند الخليل حروف الجوف التي قال عنها:" في العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفا؛ لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجه من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف، وكان يقول كثيرا: الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء... وقال: الياء والواو والألف والهمزة في حيز واحد لأنها لا يتعلق بها شيء"(82). وقال أيضا:" الياء والواو والألف اللينة منوطات بها(أي بالهمزة) ومدارج أصواتها مختلفة فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى، ومدرجة الياء منخفضة نحو الأضراس، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين، وأصلهن من عند الهمزة"(83).

ومن هذه النصوص تبين أن الخليل لم ينسب حروف المد إلى أي مخرج من مخارج النطق، وبذلك يكون قد أثبت أهم خاصة من خواص هذه الحروف، وهي حرية مرور الهواء حال النطق بها، فقال:(لا يتعلق بها شيء) فهي في الهواء. لكن

copyright www.aladab.edu.ly

الخليل حشر الهمزة هنا مع حروف الجوف، مع أنه يصرح أن مخرجها من أقصى الحلق.

أما سيبويه فلم يذكر هذا المخرج بل جعل الألف من مخرج الهمزة والهاء والواو والياء المديين من مخرجهما غير مديين، وعمل الخليل هنا أدق من عمل سيبويه فهو يتفق مع ما توصل إليه المحدثون من أن مجرى الألف والواو والياء هو الفم كله. مع اختلافهم معه في التفصيلات اللازمة لتحديد مركز كل منهما في الفم وقرروا أن هذه الحروف تعتمد في تمييز بعضها من بعض على حركات اللسان والشفتين.

ويبدو أن سيبويه أيضا كان مدركا لما تتميز به هذه الأصوات عن غيرها –من اتساع مخارجها أكثر من غيرها- حين قال:" وهذه الحروف [الألف والواو والياء] غير مهموسات ، وهي حروف لين، ومد، ومخارجها متسعة لهواء الصوت، وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها، ولا أمد للصوت، فإذا وقفت عندها، لم تضمها بشفة، ولا لسان، ولا حلق، كضم غيرها، فيهوى الصوت إذا وجد متسعا حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة"(84). وهذا مأخوذ من قول الخليل السابق (من أنها هوائية جوفية أصلها من عند الهمزة). وبهذا يكون سيبويه قد تأثر بأستاذه الخليل في معرفة ما تتميز به هذه الحروف من حرية مرور الهواء عند النطق بها. وإن ما قرره الخليل بن أحمد من أنها جوفية –بدون الهمزة-، وما قال عنها سيبويه من أنها مجهورة، ومن أن مخارجها متسعة لهواء الصوت أي أن الهواء يمر حرا طليقا إلى خارج الفم في نطق هذه الأصوات، هو أيضا ما عليه الدرس الصوتي الحديث من أنها: أصوات مجهورة يخرج الهواء عند النطق بها على شكل مستمر خلال الحلق والفم دون أن يكون ثمة عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضا تاما، أو تضييق لمجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا(85). والحق أن مخرج (الواو والياء) سواء أكانتا جامدتين أم مديتين متداخل إلى حد كبير، وهذا يتضح من كلام أحد المحدثين عنهما حيث يقول: إن" هناك صوتين من بين الأصوات اللغوية يستحقان دائما أن يعالجا علاجا خاصا؛ لأن موضع اللسان معهما قريب الشبه بموضعه مع أصوات اللين، وهما الواو والياء"(86).

ويقول آخر:" إن الفراغ بين مقدم اللسان، وبين الحنك الأعلى في نطق الياء يكون أضيق منه حال النطق بالكسرة الطويلة(=الياء الأخرى) ويترتب على ذلك أننا نسمع نوعا من الحفيف الخفيف في نطق هذه الياء. وكذلك الحال مع الواو حيث يكون الفراغ بين أقصى اللسان، وأقصى الحنك حال النطق بها أضيق منه حال النطق بالضمة الطويلة(=الواو الأخرى) ومن ثم نسمع حفيفا بسيطا مع النطق بهذه الواو ... لهذه الأسباب عدت الياء والواو من الأصوات الصامتة، بالرغم مما لهما من شبه صوتي بالحركات"(87).

ثالثا: صفات الحروف العربية :-

copy from www.altulab.tripoliuniv.edu.ly

يعد الخليل بن أحمد أول من تذوق الحروف وفق مخارجها، وكذلك هو أول من عرف أنها تختلف في صفاتها، وخصائصها، فهي ليست من طبيعة واحدة، ولاحظ أن هذه الحروف لها صفات تميزها من غيرها، وربما وصفت مجموعة من الحروف بصفة معينة. وعلى هذا فقد استعمل الخليل طائفة من المصطلحات وصف بها هذه الحروف: كالصحاح والهوائية، والذلاقة والإصمات، والمجهور والمهموس والاستعلاء والاستفال، واللين والخفاء، والمهتوت والمضغوط.

1- الصحاح والهوائية :-

قال الخليل:" في العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفا؛ لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجه من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف. وكان يقول كثيرا: الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء"(88). فوصف الخليل بعض هذه الحروف بـ(الجوفية) لأنها تخرج من الجوف، وأن تيار الهواء الخارج من الرئتين هو سبب حدوث الصوت؛ لذا وصفها بأنها هاوية في الهواء، وقال أيضا: هوائية أي أنها في الهواء لا يتعلق بها شيء، وهي عنده أربعة: الواو، والياء، والألف اللينة، والهمزة.

أما سيبويه فقد جعل الألف والياء والواو هوائية(89)، وتبعه في ذلك ابن جني(90). بينما وضعا الهمزة مع الحروف الصحاح، وهذا التقسيم هو الذي سار عليه المحدثون في تقسيم الحروف إلى صوامت وصوائت، فالحروف الصحاح عند علماء العربية هي الصوامت عند المحدثين، والهوائية عندهم هي الصوائت عند المحدثين.

2- الذلق والصتم :-

قسم الخليل حروف العربية إلى ذلق وصتم، وجعل حروف الذلق ستة أحرف وباقي الحروف سماها مصمتة، وأخرج منها الحروف الهوائية فقال:" اعلم أن الحروف الذلق والشفوية ستة، وهي(ر ل ن ف ب م) وإنما سميت هذه الحروف ذلقا؛ لأن الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان، والشفتين، وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة. منها ثلاثة ذلقية (ر ل ن) تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم، وثلاثة شفوية (ف ب م) مخرجها من بين الشفتين ... فلما ذلقت الحروف الستة، ومذل بهن اللسان، وسهلت عليه في النطق كثرت في أبنية الكلام، فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى منها أو من بعضها"(91). ومع أن الحروف الذلقية هي التي تخرج من طرف اللسان، وهي الثلاثة الأولى منها، إلا أن الخليل كان يرى أن الذلاقة في المنطق إنما هي لطرف أسلة اللسان والشفتين، وهما مدرجتا هذه الأحرف، لذلك كان يرى أن الأحرف الستة كلها ذلقية، وهذا يتضح أكثر في رواية الأزهري عن الخليل حيث يقول:" والحروف الصحاح على نحوين: منها مذلق، ومنها مصمت، فأما المذلقة فإنها ستة أحرف في حيزين: أحدهما حيز الفاء وفيه ثلاثة أحرف كما ترى(ف

copy from www.aladab.zamfara.edu.ly

ب م) مخارجها من مدرجة واحدة، لصوت بين الشفتين، لا عمل للسان في شيء منها. والحيز الآخر حيز اللام، فيه ثلاثة أحرف كما ترى(ل ر ن) مخارجها من مدرجة واحدة بين أسلة اللسان، ومقدم الغار الأعلى فهاتان المدرجتان هما موضعا الذلاقة، وحروفهما أخف الحروف في النطق وأكثرها في الكلام، وأحسنها في البناء ... وأما المصمتة هي الصتم أيضا، فإنها تسعة عشر حرفا صحيحا ... وإنما سمين مصمتة؛ لأنها أصمتت فلم تدخل في الأبنية كلها، وإذا عريت من حروف الذلاقة قلت في البناء، فلست واجدا في جميع كلام العرب خماسيا بناؤه بالحروف المصمتة خاصة، ولا كلاما رباعيا كذلك"(92). أما سيبويه فلم يذكر هذين المصطلحين في كتابه، غير أن من علماء العربية من تابع الخليل في هذا التقسيم(93). وعلل ابن دريد سبب التسمية لهذين التقسيمين فيما علله الأخفش قال:" سميت الحروف(مذلقة) لأن عملها من طرف اللسان، وطرف كل شيء ذلقه، وهي أخف الحروف، وأحسنها امتزاجا بغيرها وسميت الأخر(مصمتة) لأنها أصمتت أن تختص بالبناء إذا كثرت حروفه لاعتياصها على اللسان"(94).

وقد لخص ابن جني كلام الخليل السابق بقوله:" ومنها حروف الذلاقة وهي ستة: اللام والراء والنون والفاء والباء والميم؛ لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان، وهو صدره وطرفه. ومنها الحروف المصمتة وهي باقي الحروف ... لأنها صمت عنها أن تبنى منها كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلاقة"(95).

لكن كلام ابن جني هنا جانبه الصواب في كون أن هذه الستة تعتمد على ذلق اللسان، فهي كما قال عنها الخليل تقع في حيزين(ل ر ن) تعتمد على ذلق اللسان و(ف ب م) مخرجها بين الشفتين لا عمل للسان في شيء منها.

أما علماء الأصوات المحدثون فلم يهتموا كثيرا بهذين المصطلحين، فذكره بعضهم بتقسيم الخليل نفسه، وناقش الدكتور إبراهيم أنيس مدلول كلمة الذلاقة قائلا:" لا تعني أكثر من معناها الشائع المألوف، وهو القدرة على الانطلاق في الكلام بالعربية دون تعثر أو تلعثم، فذلاقة اللسان كما تعلم جودة نطقه وانطلاقه في أثناء الكلام، ولما كانت هذه الحروف الستة هي أكثر الحروف شيوعا في الكلام العربي أطلق عليها حروف الذلاقة دون النظر إلى مخارجها أو صفاتها، أو أي ناحية من نواحي الدراسة الصوتية"(96).

3- المجهور والمهموس :-

لاحظ الخليل في نطق بعض هذه الحروف جريان النفس فلا يعوقه عائق ولا يجد المتكلم صعوبة في جريانه، وفي بعضها يتعثر النفس ويقف عند مدرجة معينة من مدارج الفم، فلا يتأتى للمتكلم أن يتابع نفسه، ولم يذكر في كتابه (العين) مصطلح الجهر والهمس صراحة، لكن ابن كيسان ذكر مصطلح الهمس عند نقله قول الخليل فقال:" سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف ... ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها"(97).

copy from www.dlib.zarilib.edu.ly

وواضح من هذا النص أن الخليل قد وصف الهاء بأنها مهموسة، وكذلك تعريف الجهر والهمس فيما نقل عنه الزجاج فقال:" الحروف المجهورة والمهموسة فيما زعم الخليل ضربان: فالمجهورة حرف أشبع الاعتماد عليه في موضعه ومنع النفس أن يجري معه. والمهموس حرف أضعف الاعتماد في موضعه وجرى معه النفس"(98). وهذا دليل واضح يدل دلالة قاطعة على أن الخليل كان يعرف الحروف المجهورة والمهموسة. وتؤكد هذين النصين أكثر تلك الرواية المنسوبة لأبي الحسن الأخفش أنه قال:" سألت سيبويه عن الفصل بين المهموس والمجهور فقال: المهموس إذا أخفيته ثم كررته أمكنك ذلك. أما المجهور فلا يمكنك ذلك فيه. ثم كرر سيبويه (التاء) بلسانه، وأخفى، فقال: ألا ترى كيف يمكن، وكرر الطاء والدال وهما من مخرج (التاء) فلم يمكن، وأحسبه ذكر ذلك عن الخليل"(99).

فهذه النصوص مجتمعة تثبت أن الخليل ذكر المجهور والمهموس، دون أن يقسم الحروف إلى مجهورة ومهموسة، إلا الهاء فقد ذكرها صراحة بأنها مهموسة.

وإذا عدنا إلى تعريف الخليل للجهر والهمس الذي نقله الزجاج نجد أن آثاره تظهر واضحة في قول تلميذه سيبويه حين عرف الجهر والهمس فقال:" المجهورة: حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت ... وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه"(100). فكان هذان التعريفان اللذان صرح بهما الخليل فيما روى الزجاج وما ردده سيبويه في كتابه بمثابة نصوص ثابتة لمن جاء بعدهم.

وقسم سيبويه حروف المعجم من حيث جريان النفس وعدمه، فوجد الحروف المجهورة تسعة عشر حرفا هي: الهمزة والألف والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والطاء والدال والزاي والظاء والذال والباء والميم والواو. ووجد المهموسة عشرة أحرف هي: الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والسين والتاء والصاد والثاء والفاء(101).

أما علماء الأصوات المحدثون فإن مدلول لفظ الجهر والهمس عندهم يراد به اهتزاز الوترين الصوتيين وعدم اهتزازهما، فالصوت المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان. والصوت المهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان(102). وقد وافق المحدثون الخليل وسيبويه في تقسيم الحروف إلى مجهورة ومهموسة، ولكنهم اختلفوا معهم في وصف ثلاثة أصوات: الهمزة والقاف والطاء حيث عدها القدماء مجهورة وهي عند المحدثين ليست كذلك.

4- الاستعلاء والاستفال :-

حين تكلم الخليل عن الحروف الصحاح قسمها إلى مصمتة ومذلقة، وحروف الذلاقة عنده ستة أحرف في حيزين كما رأينا. والمصمتة تسعة عشر حرفا: أربعة عشر حرفا منها مخارجها من الفم، منها خمسة أحرف مستعلية، والباقي منخفضة وعبارته:" أما المصمتة وهي الصتم أيضا فإنها تسعة عشر حرفا صحيحا، منها خمسة أحرف مخارجها من الحلق، وهي: ع ح هـ خ غ، ومنها أربعة عشر حرفا

مخارجها من الفم مدارجها على ظهر اللسان من أصله إلى طرفه، منها خمس شواخص، وهن: ط ض ص ظ ق، وتسمى المستعلية، ومنها تسعة منخفضة وهن: ك ج ش ز س د ت ذ ث"(103).

ونجد بصمات الخليل واضحة في قول سيبويه -حين قسم الحروف إلى مستعلية ومستفلة- " الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والقاف والخاء حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى"(104). ووصف بقية الحروف بـ(الاستيفال)(105).

وإذا دققنا النظر في تقسيم الخليل وسيبويه نجد أن الحروف المستعلية عند الخليل خمسة أحرف وهي سبعة عند سيبويه بزيادة(خ غ) وبقية الحروف عند سيبويه مستفله. أما الخليل فإنه كان دقيق الوصف حيث ذكر أن الحروف المستعلية والمستفلة هي التي يتدخل اللسان في نطقها، واستبعد من ذلك الحلقية والشفوية؛ لأنه لا دخل للسان في تكوينها، وأخرج (غ خ) من الحروف المستعلية؛ لأنهما حلقيتان. أما سيبويه فقد عد هذه السبعة مستعلية؛ لأنها في نظره فيها تصعد إلى الحنك الأعلى. ودقق سيبويه النظر في حروف العربية أكثر فأكثر متأثرا بأستاذه الخليل الذي فتح له الأبواب فوجد أربعة أحرف منها مطبقة مع استعلائها، هي:(ط ص ض ظ)، وبقية الحروف منفتحة(106). ولم يجهل الخليل هذه الحروف الأربعة فسماها بـ(فخام الحروف)(107). وقد تابعهم علماء العربية في ذلك، وكذلك علماء الأصوات من المحدثين.

5- اللين :-

جعل الخليل صفة اللين خاصة بالألف فقال:" الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء"(108). وجعلها سيبويه لحروف المد الثلاثة حين قال:" وحروف اللين هي حروف المد التي يمد بها الصوت، وتلك الحروف: الألف والواو والياء(109). وجعلها مرة للواو والياء فقط فقال:" ومنها اللينة وهي الواو والياء لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما كقولك: وأي والواو وإن شئت أجريت الصوت ومددت"(110). ووصف الألف بعد ذلك بالهاوي:" وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو؛ لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك"(111).

وإذا ما عرفنا أن حروف اللين هي التي يمد بها الصوت، وأن الهاوي هو الذي فيه هواء، تأكدنا أن سيبويه لم يخرج عن الخليل في شيء، بل إن الخليل كان دقيقا عندما وصف الألف باللينة، وجعلها مع أختيها هوائية ليبرهن على أنها أشد الثلاثة اتساعا.

أما علماء الأصوات من المحدثين فإنهم لم يخرجوا عما جاء به القدماء في كون أن(الألف والواو والياء) أصوات لين ومد(112).

6- الخفاء :-

وصف الخليل الهاء بأنها خفية(113). وشبه الياء بالهاء في مكان آخر فقال:" الياء شبيهة بالهاء في خفتها وخفائها"(114). وأخذ سيبويه عن أستاذه ذلك ووصف الهاء

copy from www.aladab.zaytoun.edu.ly

في مواطن كثيرة من كتابه بأنها خفية، والياء كذلك(115). وبهديهم اهتدى بقية علماء العربية.

7- المهتوت والمضغوط

وصف الخليل الهمزة بأنها مهتوتة مضغوطة فقال:" أما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رفه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف"(116). وجاء في لسان العرب أن الخليل قال عن الهمزة بأنها:" صوت مهتوت في أقصى الحلق يصير همزة فإذا رفه عن الهمزة كان نفسا يحول إلى مخرج الهاء"(117). ووصف الخليل الهاء أيضا بأنها صوت مهتوت فقال:" ولولا هتة في الهاء، وقال مرة ههة لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين"(118).

ووصف سيبويه الهاء بأنها صوت مهتوت فيما رواه ابن منظور قال:" قال سيبويه: من الحروف المهتوت وهو الهاء، وذلك لما فيه من الضعف والخفاء"(119). وتابع علماء العربية الآخرون الخليل وسيبويه في وصف الهاء بأنها صوت مهتوت(120).

أما علماء الأصوات من المحدثين فإنهم أيضا لم يبتعدوا في وصفهم الهمزة عن الخليل فهي عندهم صوت شديد تكون فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقا تاما ثم تسمع الهمزة حين تنفرج فتحة المزمار انفراجا فجائيا(121).

الخاتمة

هذه هي الدراسة الصوتية التي قام بها الخليل بن أحمد، فقد لاحظ مخارج الحروف وتذوقها، وعرف أحيازها وصفاتها، وخرج بنتائج مازالت موضع إعجاب الدارسين. منها:

1- يعد الخليل بن أحمد أول من تنبه إلى أن بناء اللغة قائم على الأصوات فتناولها في مقدمة كتابه (العين)، وحدد مخارجها وصفاتها، معتمدا على السمع والنطق.
2- يعد الخليل بن أحمد أول من حدد مخارج الحروف العربية، وبهديه اهتدى سيبويه، وبقية علماء العربية، وكان يجنح إلى التعميم في وصف أعضاء النطق.
3- يعد الخليل بن أحمد أول من حدد موضع النطق الذي يلتقي فيه عضوان وسماه بـ(المخرج). كما وردت عنده ألفاظ أخرى كـ(مدرج وحيز).
4- رتب الخليل بن أحمد مخارج الحروف ترتيبا تصاعديا مبتدئا بأقصى الحلق.
5- عرف الخليل أهم خاصية لحروف المد(و ا ي) وهي حرية مرور الهواء حين النطق بها فوصفها بالهوائية.
6- كان الخليل أول من قسم الحروف إلى صحاح وهوائية، وتبعه سيبويه في ذلك، غير أنه أخرج الهمزة من الحروف الهوائية، وصنفها ضمن الحروف الصحاح.

copy from www.andalus.edu.ly

7- وجد الخليل أن بعض الحروف أسهل على اللسان من بعض وأكثر دورانا عليه من بعضها وهي ستة حروف:(الراء واللام والنون والفاء والباء والميم) وأسماها بالحروف الذلق، والكلمة الرباعية أو الخماسية إن خلت منها أو من العين أو القاف فهي محدثة أو مبتدعة.
8- وصف الخليل بعض الأصوات بصفات خاصة، كاللين والخفاء وغيرهما.
9- تبين أن الذين جاؤوا بعد الخليل كانوا عيالا عليه في علم الأصوات فليس في كتبهم التي تعرضت للأصوات وصفاتها وأسمائها جديد، ولم يزيدوا على ما وصفه الخليل إلا في تعديل بعض الصفات، وإخراج بعض الحروف من الأحياز التي أدخلها فيها الخليل وإدخالها في أحياز أخرى.

فالخليل بحق صاحب هذا العلم، والسابق فيه، وهو الرائد الذي لا يكذب أهله.

copy from www.aladab.7april.edu.ly

المصادر والمراجع

* اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، ص 50 (دار الثقافة – المغرب).

1- الكتاب لسيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون 320/3 (دار القلم 1966 والهيئة المصرية العامة للكتاب1975م).
2- العين للخليل بن أحمد، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي 11/1 (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1988م).
3- اللغة بين المعيارية والوصفية لتمام حسان، ص168 (دار الثقافة - المغرب).
4- ينظر: الكتاب4/434-435.
5- سر صناعة الإعراب لابن جني، تحقيق: حسن هنداوي6/1-7 (دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى 1985م).
6- ينظر: المدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب ص85 (مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1996م).
7- اللغة بين المعيارية والوصفية ص83-84.
8- عبقري من البصرة لمهدي المخزومي ص36 (الجمهورية العراقية وزارة الإعلام مديرية الثقافة العامة 1972م).
9- العين 47/1.
10- العين 52/1.
11- العين 47/1.
12- المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية لملا على بن سلطان القاري ص11 (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأخيرة 1948م).
13- العين 57/1، وينظر: تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق وتقديم: عبد السلام هارون 48/1 (مصر 1964م).
14- العين 52/1 ، وينظر: تهذيب اللغة 44/1.
15- العين 58/1.
16- العين 57/1.
17- العين 51/1.
18- ينظر: الكتاب 433/4، 434-436، 464، 486. و453/4، 461، 479.

copy from www.aladab.misurata.edu.ly

19-شرح المفصل لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش 125/10(مكتبة المتنبي القاهرة).
20-التطور النحوي للغة العربية لبرجستراسر، أخرجه الدكتور رمضان عبد التواب ص11 (مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية 1994م).
21-أسس علم اللغة لماريوباي، ترجمة: الدكتور أحمد مختار عمر ص78 (جامعة طرابلس 1973).
22-علم اللغة(مقدمة للقارئ العربي)، للدكتور محمود السعران ص181 (دار النهضة العربية – بيروت).
23-العين 7/1 ، وينظر: لسان العرب لابن منظور، تحقيق: عبد الله على الكبير وآخرين، 18/1 (دار المعارف القاهرة الطبعة الثالثة).
24-سر صناعة الإعراب 6/1-7.
25-العين 57/1-58 ، وينظر: تهذيب اللغة 48/1.
26-هو الجز الذي بين الحنجرة والفم، وقد يسمى هذا الجزء بالفراغ الحلقي، أو التجويف الحلقي، وهو الفراغ الواقع بين أقصى اللسان والجدار الخلفي للحلق.
27-العين 57/1-58 ، وينظر: تهذيب اللغة 48/1.
28-العين 58/1 ، وينظر: لسان العرب 17/1 .
29-الكتاب 433/4.
30-العين 52/1 ، وينظر: تهذيب اللغة 44/1 .
31-المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي، شرح: محمد أحمد جاد المولى وآخرين 90/1 (دار الفكر، ودار الجيل – بيروت لبنان).
32-ينظر: دروس في علم أصوات العربية لجان كانتينو ، نقله إلى العربية: صالح القرمادي ص23 (مكتبة مركز الدراسات والبحوث –تونس 1966م). وعلم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) ص157، والمدخل إلى علم اللغة ص56.
33-العين 57/1-58 ، وتهذيب اللغة 48/1.
34-الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ص115(مكتبة الأنجلو مصرية 1987م).
35-الكتاب 102/4.
36-ينظر: دروس في علم أصوات العربية ص23. وعلم اللغة(مقدمة للقارئ العربي) ص179.
37-ينظر: الأصوات اللغوية ص88. وعلم اللغة(مقدمة للقارئ العربي) ص178، والأصوات العربية للدكتور كمال بشر ص121 (مكتبة الشباب القاهرة).
38-ينظر: الأصوات اللغوية ص87-88. ودراسة الصوت اللغوي للدكتور أحمد مختار عمر ص318(عالم الكتب القاهرة 1991م). والمدخل إلى علم اللغة ص53.
39-ينظر: العين 58/1، وتهذيب اللغة 48/1.

copy from www.alandalus.edu.ly

40- العين 58/1.
41- الكتاب 433/4.
42- ينظر: اللغويات التطبيقية ومعجمها للدكتور محمد حلمي هليل ص54 (مجلة اللسان العربي العدد 22).
43- ينظر: دروس في علم أصوات العربية ص23 ، والأصوات اللغوية ص86.
44- ينظر: دروس في علم أصوات العربية ص23 ، والأصوات اللغوية ص83.
45- ينظر: مناهج البحث في اللغة لتمام حسان ص120 (دار الثقافة - الدار البيضاء المغرب 1985م). ودراسة الصوت اللغوي ص318.
46- العين 58/1 ، وتهذيب اللغة 58/1.
47- ينظر: الكتاب 433/4.
48- ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ص79 ، ودراسة الصوت اللغوي ص317.
49- ينظر: مناهج البحث في اللغة ص120 ، ودراسة الصوت اللغوي ص316.
50- الكتاب 4 /436 والطاء التي قابلت الدال هي الطاء القديمة المجهورة.
51- العين 58/1 وتهذيب اللغة 48/1 .
52- الكتاب 433/4 .
53- الأصوات العربية ص 120.
54- اللغويات التطبيقية ومعجمها ص55.
55- ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ص79، ودراسة الصوت اللغوي ص316، والمدخل إلى علم اللغة ص46 . والأصوات اللغوية ص74.
56- العين 58/1 ولسان العرب2630/4 باب الطاء.
57- لسان العرب 4461/6 نطع.
58- الكتاب 433/4.
59- ينظر: مناهج البحث في اللغة ص 121، ودراسة الصوت اللغوي ص316.
60- العين 58/1 وتهذيب اللغة 48/1.
61- ينظر: لسان العرب 3996/5 لثة.
62- شرح المفصل 125/10.
63- ينظر: المفصل في علم العربية للزمخشري ص394(دار الجيل بيروت الطبعة الثانية)
64- الكتاب: 433/4.
65- ينظر: المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة 193/1 (عالم الكتب بيروت 1963م).
66- ينظر: مناهج البحث في اللغة ص126، ودراسة الصوت اللغوي 315،والمدخل إلى علم اللغة ص44.
67- العين 58/1.

copy from www.aladab.aphu.edu.ly

68-تهذيب اللغة 48/1.
69-لسان العرب 1512/3 ذلق.
70-الكتاب 405/2 طبعة بولاق (وهو ساقط من طبعة هارون).
71-الكتاب 433/4.
72-ينظر: مناهج البحث في اللغة ص132، ودراسة الصوت اللغوي ص316،والمدخل إلى علم اللغة ص47.
73-العين 58/1 ، وتهذيب اللغة 48/1.
74-الكتاب 433/4.
75-العين 51/1-52.
76-تهذيب اللغة 51/1.
77-الكتاب 176/4.
78-ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع 201/1 (دار الفكر).
79-ينظر: دروس في علم أصوات العربية ص22 ، والأصوات اللغوية ص46.
80-ينظر: مناهج البحث في اللغة ص125، والأصوات اللغوية ص43، وعلم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) ص180.
81-العين 57/1-58، وتهذيب اللغة 48/1.
82-تهذيب اللغة 51/1.
83-الكتاب 176/4.
84-ينظر: علم اللغة(مقدمة للقارئ العربي) ص148.
85-الأصوات اللغوية ص42.
86-ينظر: الأصوات العربية ص84.
87-العين 57/1، وتهذيب اللغة 48/1.
88-ينظر: الكتاب 176/4.
89-ينظر: سر صناعة الإعراب 8/1.
90-العين 51/1-52.
91-تهذيب اللغة 50/1-51.
92-ينظر: جمهرة اللغة لابن دريد، 8/1 (دار صادر بيروت الطبعة الأولى)، وسر صناعة الإعراب 64/1.
93-جمهرة اللغة 7/1.
94-سر صناعة الإعراب 64/1-65.
95-الأصوات اللغوية ص109-110.
96-المزهر في علوم اللغة وأنواعها 90/1.

copy from www.aladab.zu.edu.ly

97-معاني القرآن وإعرابه للزجاج، شرح وتحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي 414/1 (عالم الكتب الطبعة الأولى 1988م).
98-شرح كتاب سيبويه للسيرافي 461/6 (مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 528 نحو تيمور).
100- الكتاب 434./4
101- ينظر: الكتاب 434./4
102- ينظر: الأصوات اللغوية ص20، ودروس في علم أصوات العربية ص25.
103- تهذيب اللغة 51./1
104- الكتاب 129./4
105- ينظر: الكتاب 101./4
106- ينظر: الكتاب 436./4
107- ينظر: العين 167/8.
108- العين 57/1، وتهذيب اللغة 48./1
109- الكتاب 426./3
110- الكتاب 435./4
111- الكتاب 435/4-436.
112- ينظر: دروس في علم أصوات العربية ص38، والأصوات اللغوية ص.28
113- ينظر: الكتاب 532/3، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها 90./1
114- الكتاب 314./4
115- ينظر: الكتاب 210/2، 421، و195./4
116- العين 52./1
117- 4610/6 هتت.
118- العين 57./1
119- لسان العرب 4610/6 هتت.
120- سر صناعة الإعراب 64/1، وينظر: الممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي، تحقيق: فخر الدين قباوة 676/2 (دار الآفاق الجديدة بيروت الطبعة الرابعة1979م)، وشرح المفصل 131./10
121- ينظر: الأصوات اللغوية ص90.

copy from www.aladab.7amu.edu.ly